مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الآيات المحكية في نص القول المحكي عن الملائكة والشياطين

الباحث/ أحمد همام خليل

مجلة كلية الآداب بقنا العدد ٤٩ سنة ٢٠١٩م

المقدمة

الآيات المحكية في القرآن الكريم تشمل ما جاء بلفظ القول،لأن هناك آيات محكية بالمعنى فهي ليست محل دراستي، وأما المحكي بالقول هو ما جاء بلفظ القول (قال)، ومشتقاته،وهذا الأسلوب أكثر الأساليب ورودًا في القرآن الكريم،ومنه الآيات المحكية على لسان الملائكة والشيطان ، وسف نعرض الجملة المحكية بين الأسلوب الخبري والإنشائي في نص القول المحكي .

The verses spoken in the Holy Quran include the words of the saying, because there are verses spoken in the sense is not my place of study, but the speaker is the words of the word (said), and derivatives, and this method the most popular methods in the Koran, and the verses spoken on the tongue of angels And Satan, and we will show the sentence spoken between the method of information and construction in the text of the saying

أولاً: الأسلوب الخبري في نص القول المحكي:

الخبر هو " إسناد أمر إلى غيره، أما على جهة المطابقة أو خلافها"[١]، وهو بذلك يكون محتملًا للتصديق والتكذيب، ووظيفة الخبر هي " إفادة السامع ما لا يعرفه"[٢] أو "أنه لا يقدم جديدًا للمخاطب، وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم"[٣] ، والأول يدعى فائدة الخبر، والثاني لازم الفائدة.

والخبر له أغراضه المجازية التي يخرج إليها، والتي يحكم عليها من السياق ونعرض فيما يلي بيان الأغراض أو المقاصد السياقية المجازية للخبر في المحكي بعد القول .

الخبر في حكاية قول الملائكة في نص القول المحكي :

خرج الخبر في نص القول المحكي في الآيات المحكية عن الملائكة من معناه الحقيقي إلى معاني مجازية، إذ إن تقديم القول المحكي عن طريق الخبر يعطينا دلالة أعمق من حيث إشعار المتلقي بأن هذا القول المحكي أمر حاصل،فيخبر بهذه الصيغة قصدًا للتفاؤل بوقوعه.

قال تعالى في نص القول المحكي حكاية عن قول الملائكة :﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۞ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۞ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۞ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) العنكبوت ٣١-٣٤ .

جاء النص الحكائي في قول الملائكة في سياق حوارهم مع سيدنا إبراهيم في بداية الآيات ليفيد سياق الخبر معنى(الوعيد) في قوله : (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ)

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، طبع بمطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤م . ج٣، ص٢٥١ .

(٢) المصدر السابق : ج٣، ٢٥٢ .

(٣) ينظر :التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني الخطيب ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى ،مصر ،١٩٣٢م. ص٤٠ ، ٤١ .

حيث توعدت الملائكة بإهلاك هذه القرية، فقد عبر عن الوعيد بالخبر(إِنَّا مُهْلِكُو) الذي يعطي الدلالة بعدًا أقوى ومبالغةً في تأكيد حدوثه، حثًّا للمتلقي وتخويفًا له

ونرى أن الحكي في قول الملائكة جاء محملًا بالوعيد في صورة الخبر، فحكاية الملائكة لم نرد لتخبرنا أنهم مهلكوا أهل القرية ولكن خرج الخبر إلى معنى أخر،وهو الوعيد لأهل هذه القرية، فعبر الخبر عن هذه السمة الأسلوبية أجمل تعبير.

وعلى نفس المعنى والسياق جاءت حكاية قول الملائكة في سياق حوارهم مع سيدنا لوط – عليه السلام –قال تعالى في نص القول المحكي حكاية عن قول الملائكة :

﴿ إنا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾العنكبوت– ٣٤

نرى خروج الخبر في الكلام المحكي بعد القول عن دلالته الموضوعة له في الأصل إلى دلالة مجازية قصد منها الوعيد، والتخويف، والتهديد.

فالحكي في قول الملائكة ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾نجد الخبر قد خرج من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى معنى آخر أفاد منه الوعيد بوقوع الرجز على أهل قرية سيدنا لوط – عليه السلام – والمعنى القرآني هنا جاء؛ ليدفع المتلقي إلى التفكير وإعمال الذهن في الهدف المقصود .

أما قوله ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) في نص القول المحكي فالمقصد من الخبر في القول المحكي هو تحقيق معنى (الاستئناس) "جملة إن أهلها كانوا ظالمين تعليل للإهلاك وقصد به استئناس إبراهيم لقبول هذا الخبر المحزن" (٤)

وأتى نص القول المحكي على لسان الملائكة في مواضع أخرى ليفيد الخبر دلالة جديدة ،وهي بث الطمأنينة في قلب سيدنا إبراهيم قال تعالى:﴿ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾، وذلك لأن الملائكة عالمة بمن في القرية فجاء الأخبار على خلاف مقتضى الظاهر فقد وظف الخبر لأداء معنى الطمأنينة.

وفي نص القول المحكي في قول سيدنا إبراهيم : ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾خرج الخبر في الكلام المحكي عن مقتضى الظاهر فأراد سيدنا إبراهيم – عليه السلام – معرفة ما سيكون

(٤) التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ م ، ج ٢٠ ، ص ٢٤٢.

لوط – عليه السلام – وإظهار الشفقة عليه خشية أن يلحقه ضرر، فوظف الخبر لأداء معنى (إظهار الشفقة)

وفي حكاية نبي الله لوط في نص القول المحكي على لسان الملائكة قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾هود –٨١

قد لا يفد النفي بـ (لا) النفي الظاهر فحسب، وإنما لبث الراحة والطمأنينة في النفس كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾، فخطاب الملائكة للوط – عليه السلام – في نص القول المحكي جاء منفيًا بقولهم ﴿ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ وذلك للدلالة " على أنهم خاطبوه بما يزيل الشك من نفسه" [٥] ليطمئن وينكشف همه.

وقد يجري الكلام على خلاف الظاهر فلا يلتزم المتكلم بحال المخاطب" وإنما يجري على أمور اعتبارية تنزيلية يلحظها هو ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها"[٦].

ومن ذلك أن " ينزل غير السائل منزلة السائل، إذا قد ما يلوح له بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب . . . وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض"[٧].

فلوط– عليه السلام– لم يشك أو يتردد بأن الله سينجيه من العذاب ، ولكن لما جاء قوله في نص القول المحكي حكاية عن قول الملائكة ﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴾ أثار في الذهن سؤلًا وتلهفت نفسه – عليه السلام – إلى معرفة سبب نهي الملائكة وأن يسيطر الخوف أو الحزن عليه ، خاصة وإن حضور الملائكة وعلمه بشناعة قومه دعيان قويان إلى الخوف والحزن علي نفسه، والنهي عنهما يحتاج إلى بيان علة وذكر سبب ؛ لذا جاء قوله: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾؛ ليقتلع خوف لوط – عليه السلام – وحزنه فيطمئن وتهدأ نفسه.

وفي قوله تعالى في نص القول المحكي حكاية عن قول الملائكة حينما تعجبوا من خلق آدم :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾البقرة –٣٢

---

(٥) التحرير والتنوير ج ١٢ ، ص ١٣١.

(٦)خصائص التراكيب ،دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، دار التضامن للطباعة ،القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م . ص ٨٦

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني ، شرح وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٤ ،منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت . لبنان ، ١٩٧٥،ج ١ ،ص ٧٢– ٧٣.

قد أتى الخبر في في نص القول المحكي؛لإفادة معنى الاعتراف بالعجز كما في اعتذار الملائكة لربهم حينما تعجبوا من خلق آدم في قوله تعالى: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ فالنفي " خبر مراد منه الاعتراف بالعجز لا الإخبار عن حالهم ؛ لأنهم يوقنون ان الله يعلم ما تضمنه كلامهم"(٨).

وقوله تعالى في نص القول المحكي :﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنْ الْقَانِطِينَ ﴾ الحجر –٥٥ ، فجملة ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ) في نص القول المحكي جملة محكية في سياق الخبر يفيد الطمأنينة؛ لأنه – عليه السلام – كان خائفًا من قدومهم ونزولهم – أي الملائكة – عنده فأُلقي الخبر عليه؛ ليطمئن قلبه .

الخبر في نص القول المحكي في حكاية قول الشيطان:

يخرج الخبر في حكاية قول الشيطان إلى معاني مجازية منها :

العظمة والتفاخر: خرج الكلام المحكي عن قول الشيطان الرجيم في قوله تعالى:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف – ١٢ ،إلى العظمة والتفاخر، ففي نص القول المحكي في حكاية قول الشيطان اللعين في قوله تعالى : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ خرج (الخبر) من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى العظمة والتفاخر،"لإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه، لما رأى أنّ سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب."(٩) فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الشيطان من نار،فهو بكل شيءٍ عليم،فقول الشيطان (أنا) أظهر به كبره باعتقاده الخيرية والأفضلية في نفسه دون غيره، فخرج الخبر من معناه الحقيقي في قول الشيطان إلى المعنى المجازي وهو العظمة والتفاخر.

الإعجاب: في نص القول المحكي في قوله تعالى:﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ أيضًا خرج الكلام المحكي بعد القول في الخبر من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى المعنى المجازي وهو الإعجاب، حيث أظهر إعجابه بنفسه بظنه أن النار خير من الطين.

---

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١ ، ص ٤١٤.

(٩)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .، ج ٢ ، ص ٩٠

السرعة: وجاء في نص القول المحكي في قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ النمل –٣٩

جاء ليفيد السرعة حيث خرج الخبر في نص القول المحكي من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى المعنى المجازي،وهو السرعة بحيث يأتي العفريت بعرش ملكة بلقيس قبل أن يقوم سيدنا سليمان من مقامه الذي يجلس فيه حيث كان يجلس في مجلس الحكم والدليل على أنه خرج من الإخبار للسرعة الآية التي بعدها قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل – ٤٠، "والظاهر أن قوله : قبل أن تقوم من مقامك وقوله : قبل أن يرتد إليك طرفك مثلان ، في السرعة والأسرعية "[١٠] ،فقد كان الذي عنده علم من الكتاب أسرع من العفريت في الإتيان بالعرش.

التلويم والتبكيت:

وفي نص القول المحكي في قول إبراهيم–عليه السلام –خرج الكلام المحكي بعد القول من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي حيث نرى مشهدًا من مشاهد يوم القيامة وفيها يظهر موقف الشيطان من أتباعه قال تعالى حكاية عن قول الشيطان:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة إبراهيم –٢٢

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾ " قول الشيطان فلا تلوموني ولوموا أنفسكم إبطال لإفراده باللوم أو لابتداء توجيه الملام إليه في حين أنهم أجدر باللوم أو بابتداء توجيهه"[١١] فجاءت الجملة خبرية في نص القول المحكي حكاية عن قول الشيطان،وهو يقف يوم القيامة،ويلتف حوله أتباعه موجهاً إليهم خطبته، بعد أن قضى الأمر، وفات الأوان، وقد عرف المشاهدون مصيرهم، فريق ذاهب إلى الجنة، وفريق آخر

١٠) التحرير والتنوير ، ج ١٩ ، ص ٢٧١.

١١) المرجع السابق ، ج ١٣، ص ٢١٩.

مصيره إلى النار، فالشيطان لم يرد إخبارنا بأن الله وعدنا وعد الحق، ولكن خرج الخبر هنا إلى المعنى المجازي وهو التلويم والتبكيت .

التقليل: وهو التقليل من شأن سيدنا آدم –عليه السلام –وذلك وحينما أمر الله الشيطان بالسجود لسيدنا آدم كان رد الشيطان اللعين على هذا الأمر بقوله :

﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر– ٣٣

ففي نص القول المحكي خرج الخبر من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى المعنى المجازي،وهو التقليل من شأن سيدنا آدم، ووضح علة امتناعه عن السجود لآدم هو كونه مخلوق أفضل منه، فهو مخلوق من نار، " اقتصر هنا على الإشارة الإجمالية إلى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذي هو أخس العناصر وأسفلها بل تعرض لكونه مخلوقاً منه في أخس أحواله من كونه طينا متغيرا "[١٢] فالسمة الأسلوبية للخبر جاءت لتؤكد سياق الحال في النص الكريم ليتناغم المعنى المجازي مع مقتضى المقام للتعبير عن المقصود من المعنى الحقيقي .

ثانيا : الأسلوب الإنشائي في نص القول المحكي

الإنشاء في نص القول المحكي في حكاية قول الملائكة:

الإنشاء هو: كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته[١٣]، لأنّه ليس لمدلول لفظة قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أولا يطابقه .

والإنشاء قسمان : الأول : "الإنشاء الطلبي، وتعريفه : وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله خمسة أنواع هي : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

والثاني : الإنشاء غير الطلبي ، وتعريفه : وهو ما لا يستدعي مطلوباً وله عدة أساليب: صيغ المدح والذم ، والتعجب ، والقسم ، والرجاء، وصيغ العقود" [١٤].

---

١٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ج٥ ، ص ٧٦.

(١٣) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د. عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م، ص١٣.

(١٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، ج١،ص٣٣٢.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام في نص القول المحكي

الاستفهام هو: طلب الفهم من الغير على جهة الاستعلام[١٥]، يستعمل الاستفهام استعمالًا مجازيًا في أكثر المواضع التي ورد فيها، وفي المواضع التي يخرج فيها عن معناها الحقيقي يعطي دلالات جديدة للنص، فالاستفهام الذي يتطلب من الطرف المقابل تجاوب وتحاور يختلف عن باقي الأساليب، التي تمنح حكمًا مستمدًا من المتكلم فحسب فالاستفهام " يثير في النفس حركة ويدعو المخاطب إلى أن يشارك السائل فيما يحس ويشعر، ويستميل الأذهان، ويوقظ الوجدان"[١٦].

فمن الأغراض المجازية التي أفادها أسلوب الاستفهام في نص القول المحكي في حكاية قول الملائكة :

التعجب :

فالتعجب يكون استعظامًا لأمر قل نظيره فيولد العجب، أو أمر ظاهر المزية، وتوظيف أسلوب الاستفهام للتعبير عنه يعزز الدلالة، فأتي الاستفهام لإفادة معنى التعجب في قوله في نص القول المحكي تعالى حكاية عن قول الملائكة :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة – ٣٠

فتساؤل الملائكة في نص القول المحكي ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ ﴾ عن وضع خليفة في الأرض ليس على سبيل الاعتراض " وإنما أظهروا تعجبهم استكشافًا عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد وألغتها واستخبارًا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم إلى معرفة ما فيه –عليه السلام –من الفضائل التي جعلته أهلًا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضًا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة

---

(١٥) ينظر: كتاب الطراز ،ج٣،ص٢٨٦، معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ،، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م ،ج١، ص٣٢٧ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،ج١، ص١٨١.

(١٦) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، عبد العليم السيد فودة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، مؤسسة دار الشعب ، ص ٣٠٠

إجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته "[١٧] فأتى الاستفهام للتعجب في القول المحكي، وقد خرج هذا الاستفهام من دلالته الوضعية إلى دلالة جديدة أفادت معنى التعجب.

ويخرج الاستفهام أيضاً إلى معنى :

التوبيخ:

وفي سياق الاستفهام وخروجه عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي يفيد الاستفهام في نص القول المحكي دلالة جديدة قال تعالي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء –٩٧

الاستفهام في قوله (فِيمَ) أي " أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم"[١٨] رأينا خروج القول المحكي في الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى التوبيخ بأنهم ظالمي أنفسهم لعدم هجرتهم فارين بدينهم ،وتفريطهم في هذا الأمر الذي كان بمقدورهم،وهو تخليص أنفسهم من غضب الجبار، ولكن لم يفعلوا فاستحقوا سوء المصير واعتذارهم الذي ذكروه غير مقبول.

وقد علق الزمخشري على هذا الاستفهام بقوله "كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابًا عن قولهم (فيم كنتم)؟ وكان حق الجواب أن يقولوا: كنا في كذا أو لم نكن في شيء؟ قلت: معنى (فيم كنتم) للتوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا "[١٩].

---

(١٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة ، إشراف محمد عبد اللطيف ،ج ١، ص ٨٢ .

(١٨) المرجع السابق ج ٢ – ص ٢٢٢.

(١٩) الكشاف ،ج١ ، ص ,٥٥٥

الموازنة في الأسلوب الخبري في نص القول المحكي:

اختلفت الأغراض أو المقاصد السياقية المجازية للخبر في نص القول المحكي حكاية قول الملائكة عن الأغراض أو المقاصد السياقية المجازية للخبر في نص القول المحكي حكاية قول الشيطان ،"فالخبر سواء كان الغرض منه (فائدة الخبر) أم (لازم الفائدة)، لا يأتي على ضرب واحد من القول، وإنما ينبغي لصاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر. أدرك العلماء هذه الحقيقة، وعرفوا أن الدقة في التعبير تحتم تركيبًا لفظيًا معينًا، وذلك بان ينقله إلى المخاطب في صورة من الكلام تلائم حالته، من غير زيادة ولا نقصان([٢٠]) ففي حكاية قول الملائكة نرى نص الحكاية خرج إلى الوعد والوعيد بإهلاك الكافرين ،وإنزال العذاب في سياق حواره معهم مستخدمًا أسلوب التوكيد لتأكيد هذه المعاني، ويخرج إلى الاستئناس والطمأنينة مع الأنبياء، وإظهار الخضوع مع الله.

ففي نص الحكاية في قول الملائكة في سياق حوارهم مع سيدنا لوط – عليه السلام أفاد سياق الخبر معنى الوعي) في قوله:﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾العنكبوت– ٣١.

وفي نفس المعنى (الوعيد) جاء نص القول المحكي في قول الملائكة في سياق حوارهم مع سيدنا لوط – عليه السلام –قال تعالى حكاية عن قول الملائكة :﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾العنكبوت – ٣٤

ويفيد سياق الخبر في نص القول المحكي معنى (الاستئناس) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾العنكبوت – ٣١

ويفيد سياق الخبر في نص القول المحكي في موضع آخر من الآية دلالة جديدة وهي بث الطمأنينة في قلب سيدنا إبراهيم : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ العنكبوت – ٣٢

ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾العنكبوت – ٣٣حيث أفاد سياق الخبر في نص القول المحكي بث الطمأنينة .

ويفيد سياق الخبر في نص القول المحكي في قول الملائكة إظهار الخضوع مع الله في قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة حينما تعجبوا من خلق آدم :

---

٢٠) ينظر : علم المعاني ،عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة –٣٢

فقد أتي الخبر في نص الحكي لإفادة معنى إظهار الخضوع مع الله ،كما في اعتذار الملائكة لربهم حينما تعجبوا من خلق آدم في قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ .

أما الأغراض أو المقاصد السياقية المجازية للخبر في نص القول المحكي حكاية قول الشيطان فقد اختلفت، حيث نلاحظ أن الخبر خرج من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى معاني مجازية هي العظمة والتفاخر والإعجاب بنفسه والتلويم والتبكيت لمن اتبعه وكذلك التعليل ، ومما هو ملاحظ في نص الحكي عن قول الشيطان في سياق الخبر ضمير الأنا (أنا) وهو مناسب للمعاني المجازية السابقة .

ففي نص الحكاية في قول الشيطان نرى أن الخبر خرج من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى معنى مجازي وهو العظمة والتفاخر قال تعالى حكاية عن الشيطان الرجيم : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الأعراف –١٢

ويفيد سياق الخبر في نص القول المحكي في قول الشيطان الإعجاب في قوله تعالى: ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾،فقد خروج الخبر في نص الحكاية من معناه الحقيقي إلى الإعجاب ،حيث ظهر إعجابه بنفسه بظنه أن النار خير من الطين .

وأفاد سياق الخبر في نص القول المحكي في قول الشيطان معنى التلويم والتبكيت قال تعالى حكاية عن قول الشيطان :﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إبراهيم –٢٢

ففي نص الحكي بعد القول في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾جملة خبرية حكاية عن قول الشيطان ، ولكن خرج الخبر هنا الى المعنى المجازي وهو التلويم والتبكيت.

ويخرج الخبر في نص القول المحكي في قول الشيطان من معناه الحقيقي،وهو الإخبار إلى المعنى المجازي وهو التقليل من شان سيدنا آدم ، وذلك وحينما أمر الله الشيطان للسجود لسيدنا آدم كان رد الشيطان اللعين على هذا الأمر بقوله : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ سورة الحجر –٣

المراجع

١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، طبع بمطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤م . ج٣، ص٢٥١ .
١٩٨٤ م ، ج ٢٠ ، ص ٢٤٢.
٢- التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني الخطيب ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى ،مصر ،١٩٣٢م. ص٤٠ ، ٤١ .
٣- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"
٤- خصائص التراكيب ،دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، دار التضامن للطباعة ،القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م . ص ٨٦
٥- الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني ، شرح وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٤ ،منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٧٥،ج ١ ،ص ٧٢-٧٣.
٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .، ج ٢ ، ص ٩٠
٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ج٥ ، ص ,٧٦
٨- علم المعاني ،عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م.
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،الدار التونسية للنشر ، تونس

الخاتمة

سبحان الله الذي لا نهاية لفضله ولا خاتمة،وطوبى لمن كانت توبته هي الخاتمة، والحمد لله الذي من علينا بإكمال\ مسيرة البحث حتى الخاتمة.

وبعد :

فإن أساليب العبارة القرآنية ومعانيها ودلالاتها المختلفة ذخيرة لا يمكن أن يحيط بها مثل هذا البحث أو يستقصيها استقصاء ، وحسبه ان يلم بأطراف منها ويدل عليها ، وهي معين ثري يفتح لذي الذوق والحس اللغوي آفاقاً في فهم الأساليب وذوقها رحيبة مشرقة.

وإذا كانت حصيلة مسيرتنا في هذا البحث كحصيلة من يعبر صحراء مقفرة باحثاً عن ظل فانا ندعو الله أن يلهمنا كيف نغرس الشجرة ، أو نلقي على الأقل بذرتها في وادي حياتنا المقفر ، فإنه من يهدي الله فلا مضل له .

وقد خلصت مسيرة البحث إلى جملة نتائج نوجزها فيما يأتي :

***خرج الخبر في نص القول المحكي في حكاية قول الملائكة من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي ، ففي حكاية قول الملائكة نراه خرج إلى الوعد والوعيد بإهلاك الكافرين وإنزال العذاب في حواره معهم عليهم مستخدمًا أسلوب التوكيد لتأكيد هذه المعاني , ويخرج الخبر في نص القول المحكي إلى الاستئناس والطمأنينة مع الأنبياء ، وإظهار الخضوع مع الله .

***بخلاف الخبر في نص القول المحكي في حكاية الشيطان ، نرى أن الخبر خرج من معناه الحقيقي وهو الإخبار إلى معاني مجازية هي العظمة والتفاخر والإعجاب بنفسه والتلويم والتبكيت لمن اتبعه وكذلك التعليل ن ومما ملاحظ في حكاية قول الشيطان في سياق الخبر ضمير الأنا (أنا) وهو مناسب للمعاني المجازية السابقة